فتح مكة

في رمضان سنة ٨ هـ

قال ابن إسحاق:

ثُمَّ أقام رسولُ الله ﷺ - بعد بَعْثه إلى مُؤْتَة - جُمادى الآخرة ورجبًا، وقد تهيأ كُلُّ شيء للفتح الأعظم «فتح مكة».

وقال ابنُ القيم - رحمه الله - عن هذا الفتح:

«هو الفتح الأعظم الذي أعَزَّ الله به دينَه ورسولَه وجندَه، وحزبَه الأمين، واستنقذ به بَلَده وبيتَه - الذي جعله هُدى للعالمين - من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهلُ السماء، وضربت أطنابُ عزِّه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجا، وأشرق به وجهُ الأرض ضياءً وابتهاجاً»(١).

إن الذي فرض عليك القرآن لرادُّك إلى معاد:

خرج رسول الله ﷺ لفتح مكة بكتائب الإسلام وجنود الرحمن سنة ثمانٍ لعشر مَضَيْنَ من رمضان.

وقبل أن نمضي في بيان ذلك، أُوَدُّ أن أذكر ما وعد الله به نبيَّه ﷺ وهو مهاجر إلى المدينة بإذن ربه.

لقد أنزل الله عليه - وهو في هجرته - قولَه في سورة القصص: ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾(٢).

---

(١) زاد المعاد: ٢/ ٢٣٠.

(٢) القصص: ٨٥.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ قال المفسرون: أي أنزل عليك. وقال الزَّجَّاج: فرض عليك العملَ بما يوجبه القرآن، وتقدير الكلام: فرض عليك أحكامَ القرآن وفرائضَه.

وقيل: أوجب عليك تلاوتَه وتبليغَه والعملَ بما فيه.

وعن علىّ بن حسين بن واقد قال: «أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ بالجُحْفة، حين خرج مهاجراً إلى المدينة»

﴿لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ قال جمهور المفسرين: أي مكة.

وهذا أقرب التفاسير، وبه قال ابن عباس رضي الله عنه كما أخرجه البخاري عنه(١) وزاد: كما أخرجك منها.

*****

أُخرج الرسول ﷺ من مكة، وها هو ذا يُخاطبها خطابَ من يَحِنُّ إليها ويَرغَبُ فيها.

قَالَ ﷺ لِمَكَّةَ: «مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ»(٢).

وكان النبي ﷺ قد أُرِىَ في المنام أنه يهاجر على أرض ذات نخل كما في حديث البخاري(٣).

وكان قد قال له ورقة بن نوفل: «يا ليتني أكون حيّاً إذ يخرجك قومُك».

قال ﷺ: أَوَمُخْرِجِيَّ هم؟

---

(١) راجع: البخاري - كتاب تفسير القرآن، حديث رقم ٤٤٠٠.
(٢) الترمذي - كتاب المناقب، حديث رقم ٣٨٦١، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.
(٣) البخاري - كتاب الحوالة، حديث رقم ٢١٣٤.

obeikandi.com

قال: ما جاء رجل بمثل ما جئتَ به إلاَّ عُودي، وإن يُدركني يومُك أنصرك نصراً مؤزرا.

سبحانك ربى! لا إله إلاَّ أنت، صَدَقَ وعدُك، ونُصِرَ عبدُك.

وها نحن نرى رسولَ الله ﷺ يعود إلى مكة كما وعده ربُّه، يعود ومعه عشرة آلاف مؤمنين به متَّبعين له، مُخلصين لَمَا جاءهم به

وها هي الأسباب تتهيأ له كما يتهيأ كُلُّ شيء لاستقباله والحَفَاوة به.

سبب الفتح:

لقد قدَّمنا في وقعة الحديبية أنه كان من شروط الهُدْنة فيها أنَّ «من أحبَّ أن يدخلَ في عَقْد محمد وعهده دَخَلَ فيه، ومَنْ أَحَبَّ أن يدخل في عَقْد قريش وعَهْدَهم دخل فيه».

فتواثَبَتْ خُزَاعَة، فقالوا: نحن في عَقْد محمد وعَهْده، وتواثَبَتْ بنو بكر، فقالوا: نحن في عَقْد قريش وعَهْدِهم.

فلمَّا استمرت الهدنة، اغتنمتها بنو بكر بن خُزَاعَة، وأرادوا أن يصيبوا منه ثأرًا قديمًا، فخرج نوفلُ بن معاوية الدَّيلى في جماعة من بنى بكرن، فأصابوا منهم رجالاً، وتناوشوا واقتتلوا.

وأعانت قريش بنى بكر بالسِّلاح، وقاتَل معهم من قريش مَنْ قَاتَل مستخْفيًا حتى حازوا خُزَاعَة إلى الحرم، فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر: يا نوفل، إنَّا قد دخلنا الحرم، إلهك، إلهك.

فقال نوفل كلمةً عظيمة: لا إله اليوم يا بنى بكر، أصيبوا ثأركم، فلَعَمْري إنَّكم لتُسرقون في الحَرَم، أفلا تُصيبون ثأركم فيه؟

فلما دخلت خُزَاعَة مكة، لجئوا إلى دار بُديل بن ورقاء الخُزاعي وإلى دار مولى لهم يقال له: رافع.

ويخرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، فوقف عليه وهو جالس في المسجد بين ظهراني أصحابه، فقال:

يا ربِّ إني ناشـــدٌ محمداً حلِفَ أبينا وأبيه الأتلدا

إن قريشًا أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا

إلى أن قال:

هم بيتونا بالوتيـر هُجَّدا وقتّلونا رُكَّعَاً وسُـجَّدا

فقال رسول الله ﷺ: «نُصِرتَ يا عمرو بن سالم».

ثم خرج بُديل بنُ ورقاء في نَفَرٍ من خُزَاعَة، حتى قدموا على رسول الله ﷺ، فأخبروه بما أُصيب منهم، وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم، ثُمَّ رجعوا إلى مكة.

فقال رسول الله ﷺ: «كأنَّكم بأبي سفيان وقد جاء ليشدَّ العقد ويزيد في المدة».

أبو سفيان يخرج إلى المدينة ليجدد الصلح:

ومضى بُديل بن وَرْقاء في أصحابه، حتى لَقُوا أبا سفيان بن حرب بِعُسْفَان، وقد بعثته قريشٌ إلى رسول الله ﷺ ليشُدَّ العقد، ويزيد في المدة وقد رَهِبُوا الذي صنعوا.

فلما لقي أبو سفيان بُديلَ بن ورقاء قال: من أين أقبلتَ يا بُديل؟

وظنَّ أنه أتى النبي ﷺ فقال: سرتُ في خُزَاعَة في هذا السَّاحل، وفي بطن هذا الوادى.

قال: أو ما جئت محمداً؟

قال: لا.

فلمَّا راح بُديل إلى مكة، قال أبو سفيان: لئن كان جاء المدينة، لقد علف بها النوى، فأتى مَبْرك راحلته فأخذ من بَعْرهَا فَفَتَّه، فرأى فيه النَّوى.

فقال: أحلف بالله، لقد جاء بُديلُ محمداً.

ثُمَّ خرج أبو سفيان حتى قدم المدينة، فدخل على ابنته أُمِّ حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طَوَتْه عنه، فقال: يا بُنيَّة: ما أدرى أرَغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عنى؟

قالت: بل هو فراشُ رسول الله ﷺ وأنت مُشركٌ نَجَسٌ.

فقال: والله لقد أصابك بعدى شَرٌّ.

ثُمَّ خرج حتى أتى رسول الله ﷺ فكلَّمه، فلم يَرُدَّ عليه شيئاً، ثُمَّ ذهب إلى أبى بكر، فكلَّمه أن يُكلِّم له رسول الله ﷺ، فقال: ما أنا بفاعل

ثُمَّ أتى عمرَ بن الخطاب، فكلَّمه، فقال: أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ؟! فوالله لو لم أجد إلاَّ الذرَّ لجاهدتكم به.

ثُمَّ جاء فدخل على عليِّ بن أبى طالب، وعنده فاطمة، وحسنٌ غلامٌ يدبُّ بين يديها، فقال: يا علىُّ، إنك أمسُّ القوم بي رحمًا، وإني قد جئت في حاجة، فلا أرجعنَّ كما جئتُ خائبًا، اشفع لي إلى محمد.

فقال: ويحك يا أبا سفيان! والله لقد عزم رسولُ الله ﷺ على أمرٍ ما نستطيع أن نكلِّمه فيه.

فالتفت إلى فاطمة، فقال: هل لك أن تأمري ابنك هذا، فيجير بين الناس، فيكون سيِّدَ العرب إلى آخر الدهر؟

قالت: والله ما يبلغ ذاك أن يجير بين الناس، وما يجير أحدٌ على رسول الله ﷺ.

قال: يا أبا الحسن، إني أرى أن الأمورَ قد اشتدَّت علىَّ، فانصحني.

قال: والله ما أعلم لك شيئًا يُغنى عنك، ولكنك سيّد بنى كنانة، فقُم فأَجِرْ بين الناس، ثُمَّ الحق بأرضك.

قال: أو ترى ذلك مُغنيًا عنى شيئا؟

قال: لا والله، ما أظنُّه، ولكنى ما أجد لك غير ذلك.

فقام أبو سفيان في المسجد فقال: أيها الناس: إني قد أجرتُ بين الناس، ثُمَّ ركب بعيره فانطلق.

فلما قَدِم على قريش قالوا: ما وراءك؟

قال: جئت محمداً فكلمتُه، فوالله ما ردَّ على شيئاً، ثُمَّ جئتُ ابن أبى قُحافة، فلم أجد فيه خيرًا، ثُمَّ جئت عمر بن الخطاب، فوجدته أعدى الأعداء، ثُمَّ جئت عليًّا، فوجدته ألينَ القوم، قد أشار عَلَىَّ أن أُجيرَ بين الناس، ففعلتُ.

فقالوا: فهل أجاز ذلك محمدٌ؟ قال: لا.

قالوا: ويلك والله، إن زاد الرجلُ على أن لَعب بك.

قال: لا والله، ما وجدت غير ذلك.

النبي ﷺ يتهيأ للفتح الأعظم:

ثم أمر رسول الله ﷺ الناسَ بالجَهَاز، وأمر أهلَه أن يُجَهِّزوه.

فدخل أبو بكر على ابنته عائشة - رضى الله عنها - وهي تُحرِّك بعض جهاز رسول الله ﷺ، فقال: أيْ بُنيَّة؛ أمَرَكُنَّ رسولُ الله ﷺ بتجهيزه؟ قالت: نعم، فتجهز.

قال: فأين ترينَهُ يريد؟ قالت: لا والله ما أدرى.

ثُمَّ إن رسول الله ﷺ أعْلَمَ الناس أنه سائرٌ إلى مكة، فأمرهم بالجدِّ والتجهيز، وقال: «اللهم خُذْ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغَتَها في بلادها».

قصة كتاب حاطب بن أبي بلتعة:

لمَّا تجهز الناس كتب حاطبُ بن أبى بلتعة إلى قريش كتاباً يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم، ثُمَّ أعطاه امرأةً، وجعل لها جُعْلا على أن تُبلِغَه قريشًا، فجلعته في قُرون في رأسها، ثُمَّ خرجتْ به.

وأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماء بما صنع حاطب، فبعث عليّاً والزبيرَ، فقال: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا.

يقول عليٌّ: فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ.

فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ.

فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ.

فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا(١) فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا(٢) فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ - إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ - أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا ولا ارْتِدَادًا ولا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسلامِ.

---

(١) عقاصها: أي ضفيرة الشَّعْر.

(٢) مُلصَقاً: حليفاً لهم، وليس منهم.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَقَدْ صَدَقَكُمْ.

قَالَ: عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ.

قَالَ ﷺ: إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ؟![1].

وفي سورة الممتحنة نزلت الآيات الأولى فيما فعله حاطب بن بلتعة، وما كان لأحد أن يرُدَّ عن حاطب ما أراده عمر رضي الله عنه إلاَّ رسول الله ﷺ بما أعلمه ربُّه.

ولولا وحي الله إلى نبيِّه ﷺ لكان جزاء ما فعله حاطب هو ما استأذن فيه عمر: دعني يا رسول الله أضرب عُنُقَه.

ولكنَّ عمر عندما سمع من النبي ﷺ قوله: «وما يدريك يا عمر، لعل الله قد اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

ذرفت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم.

ونزلت الآيات لتكون دلالتها وعظًا للمؤمنين في كُلِّ زمان ومكان، وبيانًا لما يجب أن يكونوا عليه من يقين بأن من كان عدوا لله وللرسول فهو عدو للمسلمين..

ولكنها معصية متأوَّلة من حاطب، ولكن لن يُقْبَل تأويلُها من غيره، لأن غيرَه – على مَرِّ الزمان – لن يكون من أهل بدر حتى يُقبَل منه اعتذار.

ولذلك نزلت الآيات خطابًا عامًا للمؤمنين، فكانت العِبْرةُ فيها بعموم اللفظ لا بخُصوص السَّبَب، وكان من الآيات قولُه تعالى خطابًا للمؤمنين بعامة، لا لحاطب فحسب..

---

(١) البخاري – كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٢٧٨٥، مسلم – كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم ٤٥٥٠.

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(١).

والمعنى: لن تنفعكم قراباتُكم ولا أولادُكم الذين تُوالون من أجلهم أعداءكم؛ إشفاقًا على الرَّحم والولد، وتُلْقون إلى هؤلاء الأعداء بالمودَّة لأجلهم مراعاة لهم وحبّاً فيهم.

فإن الكُفْرَ يقطع الأنساب، ويُورث العداوةَ بين الأهل والأقارب والأصحاب، فإذا كان يوم القيامة - يوم الفصل - يُقْضى بينكم وبين أقاربكم وأولادكم، ويُحكم بينكم **﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾**(٢).

والله مُطَّلِعٌ وبصيرٌ بكُلِّ ما تعملونه، فيجازيكم على أعمالكم.

فلم تصبح القضيةُ قضيةَ حاطب بن بلتعة وما فعل؛ وإنما أصبحت - بنزول القرآن - قضيةَ إيمان بالله ورسوله، وما يقتضيه ذلك من ضوابط وحدود

ومن ذلك ما تحمله بداية الآية الأولى **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾**(٣).

وقد قُدِّمت عداوةُ الله ليُعْلم أن عداوة المؤمنين تَبَعٌ لعداوة الله، فمن عادى الله وَجَبَ على المؤمنين أن يُعادوه.

وقد أُمروا بإعداد العُدَّة لا لِنَصر أهواء، ولكن لنُّصْرَة الله، وفي ذلك ما فيه من نَصْرٍ وعَدْلٍ لحقوق الخَلْق جميعًا.

---

(١) الممتحنة: ٣ .
(٢) عبس: ٣٤، ٣٥.
(٣) الممتحنة: ١.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1].

فعداوة المؤمنين لا تأتى دائمًا إلاَّ تَبَعاً لعداوة الله، فمَنْ عادى الله عودي، ومن نَصَرَ الله نُصِرَ، ولا يكون نَصْرُ الحق والعدل، وتحقيق السلام والبِّر بين الخَلْق، إلاَّ بالعمل على نَصْر الله، وصِدْق الاستجابة لمَا دَعَا الخَلْقَ إليه ووَصَّاهم به، ويحاسبهم عليه.

وذاك هو اتباع الصراط المستقيم، الذي لا يكون سَلامٌ إلاَّ به، ولا يتحقق أمان إلاَّ بالإخلاص له.

الجيش الإسلامي يتحرك صَوْب مكة:

ثُمَّ مضى رسولُ الله ﷺ وهو صائم والناس صيامٌ، حتى إذا كانوا بالكُدَيْد، وهو الذي تُسمِّيه الناسُ اليوم قُدَيْداً، أفطر وأفْطر الناس معه، كما ذكره البخاري من حديث ابن عباس[2].

ثُمَّ مضى حتى نزل مَرَّ الظَهْران ومعه عشرةُ آلاف، وعَمَّى الله الأخبارَ عن قريش، فهُمْ على وَجَلٍ وارتقاب.

وكان أبو سفيان يخرج يتجسّسُ الأخبار، فخرج هو وحكيم بن حزام، وبُديلُ بن ورقاء يتجسَّسون الأخبار، فَلَقيَ رسولَ الله بالجُحْفَة.

وكان ممَّن لقيَه في الطريق ابنُ عَمِّه أبُو سفيان بن الحارث، وعبدالله بن أبى أُميَّة، لقياه بالأبواء، وهما ابن عمِّه وابن عمَّته.

فأعرض عنهما لمَا كان يلقاه منهما من شدَّة الأذَى والهَجْو.

فقالت له أمُّ سَلَمَة: لا يكُن ابنُ عمِّك وابنُ عمّتك أشقى الناس بك،

---

(١) الأنفال: ٦٠.

(٢) البخاري – كتاب المغازي، حديث رقم ٣٩٤١.

وقال عليٌّ لأبي سفيان بن الحارث ابن عمِّه - فيما حكاه أبو عمر -:

ائت رسول الله ﷺ من قِبَل وجهه، فقل له ما قال أخوةُ يوسف ليوسف: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾[1] فإنه لا يرضى أن يكون أحدٌ أَحْسَنَ منه قولاً.

ففعل ذلك أبو سفيان - وهو ابن عمِّ الرسول ﷺ، وكان شديد العداوة له ولأصحابه - قال:

ما وصَّاه به عليٌّ رضي الله عنه، فأجاب الرسول ﷺ بقول الله ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[2].

فأنشد أبو سفيان أبياتًا وكان شاعرًا:

لَعَمْرك إنِّي حين أحمل رايةً ... لتغلبَ خَيْلُ اللاتِ خيْلَ مُحَمَّد

لَكَالمُدْلج الحيرانِ أظْلَمَ ليلُه ... فهذا أواني حين أُهدى فأهتدي

هداني هادٍ غيرُ نفسي ودَلَّني ... على الله من طردَّتُ كُلَّ مطرَّد

فضرب رسولُ الله ﷺ صَدْرَه، وقال: أنتَ طَرَّدتني كُلَّ مطرَّد[3].

ويُقال: إن أبا سفيان بن الحارث ما رفع رأسَه إلى رسول الله ﷺ منذ أسلم حياءً منه، وكان رسول الله ﷺ يُحبُّه، وشهد له بالجنة، وقال: «أرجو أن يكون خَلَفاً من حمزة».

ولما حضرته الوفاة: قال: لا تبكوا عليَّ، فوالله ما تنطقت بخطيئة منذ أسلمتُ.

---

(١) يوسف: ٩١.

(٢) يوسف: ٩٢ .

(٣) المستدرك على الصحيحين: ٤٦/٣.

فلما نزل رسول الله ﷺ على مَرِّ الظَهْران نزله عشاء، فأمر الجيش فأوقدوا النيران.

فأوقدت عشرة آلاف نار، وجعل رسول الله ﷺ على الحرس عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه، وركب العبَّاسُ بغْلةَ رسول الله ﷺ البيضاء، وخرج يلتمسُ لعلَّه يجد بعضَ الحطَّابة، أو أحداً يُخْبر قريشًا ليخرجوا يستأمنون رسولَ الله ﷺ قبل أن يدخلها عَنْوةً.

قال: والله إني لأسير عليها، إذ سمعتُ كلام أبى سفيان، وبُديل بن ورقاء وهما يتراجعان، وأبو سفيان يقول:

ما رأيت كالليلة نيرانا قطُّ ولا عسكرًا.

قال: يقولُ بُديل: هذه والله نار خُزَاعَة حَمَشَتْها الحرب.

فيقول أبو سفيان: خُزَاعَة أقلُّ وأذلُّ من أن تكون هذه نيرانَها وعسكرَها.

قال: فعرفت صوتَه. فقلت: أبا حَنْظَلة. فعرف صوتي. فقال: أبا الفضل؟ قلت: نعم. قال: مالك فداك أبى وأُمِّى؟

قال: قلت: هذا رسول الله ﷺ في الناس، وا صَبَاح قريش والله.

قال: فما الحيلة، فداك أبى وأُمِّي؟

قلت: والله لئن ظَفِر بك ليضْربنَّ عُنُقَك، فاركب في عَجُزِ هذه البغلة حتى آتِىَ بك رسول الله فأستأمنَه لك.

فركب خلفي ورجع صاحباه.

قال: فجئتُ به، فكُلَّما مررت به على نار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها قالوا: عمُّ رسول الله ﷺ على بغلته.

حتى مررتُ بنار عمر بن الخطاب، فقال: مَنْ هذا؟ وقام إليَّ، فلما رأى أبا سفيان على عَجُز الدابة قال:

أبو سفيان عدوُّ الله! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد.

ثُمَّ خرج يشتدُّ نحو رسول الله ﷺ وركضت البغلة، فسَبَقتْ، فاقتحمْتُ عن البغلة، فدخلتُ على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر، فقال:

يا رسول الله؛ هذا أبو سفيان، فدعني أضربْ عُنُقَه.

قال: قلتُ: يا رسول الله إني قد أجرتُه.

ثُمَّ جلستُ إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه، فقلتُ:

والله لا يناجيه الليلةَ أحدٌ دوني، فلما أكثر عمرُ في شأنه قلت:

مهلاً يا عمر، فوالله، لو كان من رجال بنى عدى بن كعب ما قُلتَ مثل هذا.

قال: مهلاً يا عباس فوالله، لإسلامُك كان أحبَّ إلى من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلاَّ أنى قد عرفتُ أن إسلامك كان أحبَّ إلى رسول الله من إسلام الخطاب.

فقال رسول الله ﷺ: اذهب به يا عبَّاس إلى رَحْلك، فإذا أصبحت فأتني به.

فذهبتُ فلما أصبحتُ غدوتُ به إلى رسول الله ﷺ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ قال: «ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلاَّ الله؟».

قال: بأبى أنت وأُمِّى، ما أَحْلَمَك وما أكرمك وأوصلك، لقد ظننتُ أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى شيئاً بعد.

قال: ويحك يا أبا سفيان: ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله؟

قال: بأبى أنت وأُمِّى، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، أمَّا هذه فإن في النفس حتى الآن منها شيئاً.

فقال له العباسُ: ويْحَك أسلِم، واشهد أن لا إله إلاَّ الله وأن محمدًا رسول الله قبل أن تُضرَب عُنُقُك.

فأَسْلَمَ وشهد شهادة الحق.

فقال العباس: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجلٌ يحبُّ الفَخَرَ، فاجعل له شيئًا.

قال: نعم، مَنْ دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابَه فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن.

اطلاع أبي سفيان على قوة المسلمين:

وقد أمر النبي ﷺ العباسَ أن يُحبس أبو سفيان بمضيق الوادي عند خَطْم الجبل، حتى تَمُرَّ به جنود الله فيراها، ففعل.

فمرَّت القبائل على راياتها، كُلمَّا مرَّتْ به قبيلةٌ قال: يا عبَّاس، من هذه؟ فأقول: سُلَيْم، قال: فيقول: مالي ولِسُليم. ثُمَّ تمر به القبيلة، فيقول: يا عبَّاس، من هؤلاء؟ فأقول: مُزَيْنة، فيقول: ما لي ولمزينة، حتى نفدت القبائل، ما تمرُّ به قبيلة إلاَّ سألني عنها، فإذا أخبرته بهم، قال: مالي ولبنى فلان.

حتى مَرَّ به رسولُ الله ﷺ في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار، لا يُرَى إلاَّ الحَدَق من الحديد.

قال: سبحان الله يا عباس، من هؤلاء؟

قال: ما لأحدٍ بهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقة.

ثُمَّ قال: والله يا أبا الفضل، لقد أصبح مُلْكُ ابن أخيك اليوم عظيمًا

قال: قلت: يا أبا سفيان، إنها النُّبوَّة.

قال: فنعم إذاً.

قال: قلت: النَّجاء إلى قومك. وكانت راية الأنصار مع سعد بن عبادة، فلما مَرَّ بأبي سفيان قال له:

اليوم يومُ الملحمة، اليومَ تُستَحَلَّ الحرمة، اليوم أذلَّ الله قريشاً.

فلما حاذَى رسولُ الله ﷺ أبا سفيان قال: يا رسول الله، ألم تسمعْ ما قال سعد؟

قال: وما قال؟

فقال: كذا وكذا.

فقال عثمان وعبدالرحمن بن عوف: يا رسول الله، ما نأمن أن يكون له في قريش صَوْلَة.

فقال رسول الله ﷺ: «بل اليومَ يومٌ تُعَظَّمُ فيه الكعبة، اليوم يومٌ أعزَّ اللهُ فيه قريشًا».

ثُمَّ أرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى سعد، فنزع منه اللواء، ودفعه إلى قيس ابنه، ورأى أن اللواء لم يخرج عن سعد إذ صار إلى ابنه.

قال أبو عمر: وروى أن النبي ﷺ لما نزع منه الراية دفعها إلى الزبير.

رجوع أبي سفيان إلى مكة:

ومضى أبو سفيان حتى إذا دخل قريشًا نادى بأعلى صوته:

«يا معشر قريش، هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبَلَ لكم به، فمَنْ دخل دار أبى سفيان فهو آمن».

فقامت إليه هندُ بنتُ عتبة، فأخذت بشاربه فقالت: اقتُلُوا الحَميت الدَّسم، الأحْمَشَ السَّاقين، قُبِّحَ من طليعة قوم.

قال: ويلكم لا تَغُرنَّكم هذه من أنفسكم، فإنه قد جاءكم ما لا قِبَلَ لكم به. مَنْ دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومَنْ دخل المسجد فهو آمن.

قالوا: قاتلك الله، وما تغنى عنَّا دارُك؟

قال: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن.

فتفرَّق الناسُ إلى دورهم وإلى المسجد.

دخول النبي ﷺ مكة:

أمر رسولُ الله ﷺ خَالِدَ بن الوليد أن يدخُلها من أسفلها، وكان على المجَنِّبة اليمنى، وفيها أسلم وسليم وغفار وجُهينَة وقبائل من قبائل العرب.

وكان أبو عبيدة على الرحَّلة والحُسَّر، وهم الذين لا سلاح معهم.

وقال لخالد ومَنْ معه: إن عرض لكم أحَدٌ من قريش فاحصدوهم حصدًا، حتى تُوَافُوني على الصَّفا، فما عرض لهم أحدٌ إلاَّ أنامُوه.

ودخلت كتائب الجيش الإسلامي مكة حيث أمرهم رسول الله ﷺ ودخل هو «من أعلاها من كَداء»(١).

دخل مكة ﷺ وهو راكب ناقته منكساً رأسه، حتى إن شعر لحيته ليمس واسطة رحله؛ تواضعاً لله، وشكراً له على نعمائه، فلما بلغ الحجون(٢). أمر ﷺ أن تُضرب له قُبّة.

وتَجَمَّع سفهاءُ قريش وأخفَّاؤها مع عكرمة بن أبى جهل، وصفوان بن أُميَّة وسُهيل بن عمرو بالخَنْدَمة لِيُقَاتِلُوا المسلمين.

*****

وقال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَبَعَثَ الزُّبَيْرَ عَلَى إِحْدَى الْمُجَنِّبَتَيْنِ، وَبَعَثَ خَالِدًا عَلَى الْمُجَنِّبَةِ الأُخْرَى، وَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى الْحُسَّرِ، فَأَخَذُوا بَطْنَ الْوَادِي، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي كَتِيبَةٍ.

---

(١) كداء: جبل بأعلى مكة.

(٢) الحجون: مكان بأعلى مكة بالقرب من مقبرتها.

قَالَ: فَنَظَرَ فَرَآنِي، فَقَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: لا يَأْتِينِي إِلاَّ أَنْصَارِيٌّ، زَادَ غَيْرُ شَيْبَانَ، فَقَالَ: اهْتِفْ لِي بِالأَنْصَارِ قَالَ: فَأَطَافُوا بِهِ، وَوَبَّشَتْ [١] قُرَيْشٌ أَوْبَاشًا لَهَا وَأَتْبَاعًا، فَقَالُوا: نُقَدِّمُ هَؤُلاءِ فَإِنْ كَانَ لَهُمْ شَيْءٌ كُنَّا مَعَهُمْ، وَإِنْ أُصِيبُوا أَعْطَيْنَا الَّذِي سُئِلْنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: تَرَوْنَ إِلَى أَوْبَاشِ قُرَيْشٍ وَأَتْبَاعِهِمْ، ثُمَّ قَالَ بِيَدَيْهِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى، ثُمَّ قَالَ: حَتَّى تُوَافُونِي بِالصَّفَا. قَالَ: فَانْطَلَقْنَا فَمَا شَاءَ أَحَدٌ مِنَّا أَنْ يَقْتُلَ أَحَدًا إِلاَّ قَتَلَهُ، وَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ يُوَجِّهُ إِلَيْنَا شَيْئًا...»[٢].

الرسول ﷺ يحطم الأصنام:

ثُمَّ نهض رسول الله ﷺ والمهاجرون والأنصار بين يديه وخلفَه وحولَه، حتى دخل المسجد، فأقبل إلى الحجر الأسود فاستلمه، ثُمَّ طاف بالبيت وفي يده قوسٌ، وحول البيت وعليه ثلاث مئة وستون صَنَماً، فجعل يطعَنُها بالقوس ويقول: ﴿**جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾[٣].

﴿**قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ**﴾[٤].

والأصنام تتساقط على وجوهها.

وكان طوافُه ﷺ على راحلته، ولم يكن مُحْرِمًا يومئذٍ، فاقتصر على الطواف، فلمَّا أكمَلَه، دعا عثمانَ بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة فأمر بها فَفُتحت، فدخلها فرأى فيها الصُّور، ورأى فيها صورة إبراهيم وإسماعيل يستقسمان بالأزلام، فقال ﷺ: «قاتلهم الله، والله ما اسْتَقْسما بالأزلام قط».

---

(١) ووَبَّشَت: أي جمعت.

(٢) مسلم - كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٣٣٣١.

(٣) الإسراء: ٨١.

(٤) سبأ: ٤٩

ثُمَّ أغلق عليه الباب، وعلى أسامة وبلال، فاستقبل الجِدار الذي يُقابل الباب، حتى إذا كان بينه وبينه قدرُ ثلاثةِ أذرع، وقف وصلَّى هناك ثُمَّ دار في البيت، وكبَّر في نواحيه، ووحَّد الله، ثُمَّ فتح الباب.

ونادى مناديه بمكة: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صَنَماً إلاَّ كَسَّره.

لا تثريب عليكم اليوم:

كانت قريش قد ملأت المسجد صُفُوفاً ينتظرون ماذا يُصنع بهم، فأخذ ﷺ بَعَضَادتى الباب وهم تحته، فقال:

«لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، صَدَقَ وعدَّه، ونَصَرَ عبدَه، وهَزَمَ الأحزاب وحدَه، ألا كلُّ مأثُرَة أو مال أو دم فهو تحت قدميَّ هاتين، إلاَّ سِدانةَ البيت وسقَايَة الحاج، ألا وقتْلُ الخطأ شبهُ العمد السوط والعصا، ففيه الدِّيةُ مُغلَّظةً، مئة من الإبل، أربعون منها في بطونها أولادها.

يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوةَ الجاهلية وتَعظُّمَها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب

ثُمَّ تلا هذه الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾(١).

ثُمَّ قال: يا معشر قريش، ما ترون أنى فاعلٌ بكم؟

قالوا: خيرا، أخٌ كريمٌ وابن أخٍ كريم.

قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لأخوته: ﴿**لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾(٢).

اذهبوا فأنتم الطُلَقَاء».

---

(١) الحجرات: ١٣ . (٢) يوسف: ٩٢.

مفتاح الكعبة إلى أهله:

ثُمَّ جلس ﷺ في المسجد، فقام إليه عليٌّ رضي الله عنه ومفتاح الكعبة في يده.

فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحِجَابَة مع السقاية - صلى الله عليك.

فقال رسول الله ﷺ: «أين عُثْمانُ بنُ طلحة؟».

فَدُعيَ له. فقال له: «هاك مِفْتَاحُك يا عثمان، اليوم يومُ بِرٍّ ووفاء».

وذكر ابن سعد في [الطبقات] عن عُثمان بن طلحة قال:

كنَّا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس، فَأقبل رسول الله ﷺ يوماً يريدُ أن يَدْخل الكعبة مع الناس، فأغلظتُ له، ونِلْتُ منه، فَحَلَم عنى ثُمَّ قال:

«يا عُثمانُ، لعلَّك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعُه حيث شئت» فقلت: لقد هلكت قريشٌ يومئذٍ وذَلَّت

فقال: «بل عَمَرتْ وعَزَّت يومئذ».

ودخل الكعبة، فوقعت كلمتُه منى موقعًا ظننتُ يومئذٍ أنَّ الأمر سيصير إلى ما قال.

فلما كان يوم الفتح، قال: يا عثمان، ائتني بالمفتاح، فأتيته به، فأخذه منى، ثُمَّ دفعه إليَّ، وقال: خذوها خالدةً تالدةً، لا ينزعها منكم إلاَّ ظالمٌ.

يا عثمان، إن الله استأمنكم على بيته، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف.

قال: فلما ولَّيْتُ ناداني، فرجعتُ إليه. فقال:

ألم يكنْ الذي قلتُ لك؟ قال: فذَكَر قوله لي بمكة قبل الهجرة: «ولعلك سترى هذا المفتاح بيدي أَضَعُه حيثُ شئتُ» فقلت: بلى، أشْهدُ أنَّك رسول الله.

وذكر سعيد بن المسيِّب أن العبَّاس تطاولَ يومئذٍ لأخذ المفتاح في رجال من بنى هاشم، فردَّه رسول الله ﷺ إلى عثمان بن طلحة.

بلال يؤذن على ظهر الكعبة:

وأمر رسول الله ﷺ بلالاً أن يَصْعَد فيؤذِّن على الكعبة، وأبو سفيان بن حرب، وعَتَّابُ بنُ أسيد، والحارثُ بن هشام، وأشراف قريش جلوسٌ بفِناء الكعبة، فقال عتَّاب: لقد أكرم الله أُسيداً، ألاَّ يكون سمع هذا، فيسمَعَ منه ما يُغِيظُه.

فقال الحارثُ: أما والله لو أعلم أنه حَقٌّ لاتبعتُه.

فقال أبو سفيان: أما والله لا أقول شيئًا، لو تكلمتُ لأخْبَرَت عنِّى هذه الحصباءُ.

فخرج عليهم النبي ﷺ فقال: قد علمتُ الذي قُلْتُم، ثُمَّ ذكر ذلك لهم.

فقال الحارثُ وعتَّاب: نشهد أنك رسولُ الله، والله ما اطلع على هذا أحدٌ كان معنا فنقول أخبرك.

ثُمَّ دخل رسولُ الله ﷺ دارَ أمِّ هانئ بنت أبى طالب فاغتسل، وصلى ثمانى ركعات في بيتها، وكانت ضحىً فَظَنَّها مَنْ ظنَّها صلاةَ الضحى، وإنما هي صلاةُ الفتح وكان أُمراءُ الإسلام إذا فتحوا حِصناً أو بلداً، صَلَّوا عقيبَ الفتح هذه الصلاة اقتداءً برسول الله ﷺ.

وفي القصة ما يدُلُّ على أنها بسبب الفتح شُكراً لله عليه، فإنها قالت: ما رأيتُه صلاها قبلها ولا بعدها.

وأجارت أُمُّ هانئ حَمَوَيْن لها، فقال لها رسول الله ﷺ: «قد أجرْنا مَنْ أجرتِ يا أمَّ هانئ»(١).

---

(١) البخاري - كتاب الصلاة، حديث رقم ٣٤٤، كتاب الجزية والموادعة، حديث رقم ٢٩٣٥، مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها، حديث رقم ١١٧٩.

obeikandi.com

إهدار دماء رجال من أكابر المجرمين:

ولما استقرَّ الفتحُ أمَّنَ رسول الله ﷺ الناسَ كلَّهم إلاَّ تسعة نفر، فإنّه أمر بقتلهم وإن وُجِدُوا تحت أستار الكعبة، وهم:

عبدالله بن سعد بن أبى سَرْح، وعكرمة بن أبى جهل، وعبدالعزَّى بن خَطَل، والحارثُ بن نُفَيل بن وهب، ومَقِيس بن صُبَابة، وهبَّار بن الأسود، وقَيْنَتان لابن خَطَل كانتا تُغنِّيان بهجاء رسول الله ﷺ، وسارةُ مولاةٌ لبعض بنى عبدالمطلب.

فأمَّا ابن أبى سرح فَأسلم، فجاء به عثمان بن عفان رضي الله عنه فاستأمن له الرسول ﷺ، فَقَبِلَ من بعد أن أمسك عنه رجاء أن يقوم إليه بعض الصحابة فيقتله، وكان قد أسلم قبل ذلك، وهاجر، ثُمَّ ارتد ورجع إلى مكة.

وأما عكرمةُ بن أبى جهل، فاستأمَنَت له امرأتُه بعد أن فَرَّ، فأمّنه النبي ﷺ فقَدِم وأسلم وحَسُنَ إسلامُه.

وأما ابن خطل، والحارث، ومَقِيس، وإحدى القينتين فقُتلوا.

وأما هبَّار بن الأسود، فهو الذي عرض لزينب بنت رسول الله ﷺ حين هاجرت، فنخس بها حتى سقطت على صخرة، وأسقطت جنينها، فَفَرّ، ثُمَّ أسلم وحسُن إسلامه.

واستؤمن رسول الله لسارة ولإحدى القينتَيْن، فأمَّنها فأسلمتا.

فلما كان الغدُ من يوم الفتح، قام رسول الله في الناس خطيبًا، فحمد الله وأثنى عليه، ومجَّده بما هو أهلُه، ثُمَّ قال:

«إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ، وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، لا يَحِلُّ لامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، ولا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرًا، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهَا، فَقُولُوا لَهُ: إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا

سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»(١).

ولما فتح الله مكة على رسوله ﷺ وهي بلدهُ ووطنُه ومولدُه، قال الأنصار فيما بينهم:

أترون رسولَ الله ﷺ إذْ فتح الله عليه أرضَه وبلدَه، أن يُقيم بها؟ وهو يدعو على الصَّفا رافعاً يديه

فلما فرغ من دُعَائه قال: ماذا قُلتُم؟

قالوا: لا شيء يا رسول الله، فلم يزل بهم حتَّى أخبروه

فقال رسول الله ﷺ: معاذَ الله، المحيا محياكُم، والممات مماتكم(٢).

محاولتان فاشلتان لقتل النبي ﷺ:

* **المحاولة الأولى:**

كان حِمَاسُ بنُ قيس بنُ خالد، أخو بنى بكر يُعِدُّ سلاحاً قبل دخول رسول الله ﷺ فقالت له امرأتُه: لماذا تُعدُّ ما أرى؟

قال: لمحمد وأصحابه.

قالت: والله ما يقوم لمحمد وأصحابه شيءٌ.

قال: إنِّي والله، لأرجو أن أُخْدمك بعضهم، ثُمَّ قال:

إنْ يُقْبلُوا اليوم فما لي علة هذا سلاحٌ كاملٌ وألَّة(٣).

وذُو غِرَارَيْن(٤) سريع السَّلَّة

يصف بذلك سلاحَه الذي أعدَّه.

---

(١) البخاري – كتاب المغازي، حديث رقم ٣٩٥٧، مسلم – كتاب الحج، حديث رقم ٢٤١٣.
(٢) مسلم – كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٣٣٣١.
(٣) الألَّة: الحرْبَه لها سِنان طويل. (٤) ذو غِرارَين: سيف ذو حدَّين.

obeikandl.com

ثُمَّ شهد الخَنْدمة مع صفوان وعكرمة وسُهيل بن عمرو، فلمَّا لقيهم المسلمون، ناوشوهم شيئاً من قتال.

فقُتِل كُرز بن جابر الفهرى، وخُنيس بن خالد بن ربيعة من المسلمين، وكانا في خيل خالد بن الوليد، فشَذَّ عنه، فسَلَكا طريقاً غير طريقه فَقُتِلا جميعًا.

وأُصيب من المشركين نحو اثني عشر رجلا، ثُمَّ انهزموا، وانهزم حِمَاسُ صاحب السلاح حتى دخل بيتَه، فقال لامرأته: أغلقي عَلَيَّ بابي.

فقالت: وأين ما كنت تقول؟

فقال:

إنك لو شَهِدت يوم الخَنْدمة إذَّ فرَّ صفوانُ وفرَّ عكرمة

واسْتَقْبَلتْنا بالسيوف المسلمة يَقْطعن كلَّ ساعدٍ وجُمْجُمة

ضرباً فلا نسمعُ إلاَّ غَمْغَمة لهم نهيتٌ حَوْلنا وهَمْهَمة

لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة

*** المحاولة الثانية:**

وهَمَّ «فضالةُ بن الملوَّح» أن يقتل رسول الله ﷺ وهو يطوف بالبيت، فلما دنا منه، قال له رسول الله ﷺ: أفضَالة؟

قال: نعم فضالة يا رسول الله.

قال: ماذا كنتَ تحدثُ به نفْسَك؟

قال: لا شيء، كنتُ أذكر الله.

فَضَحِك النبي ﷺ ثُمَّ قال: اسْتغْفرِ الله. ثُمَّ وضع يده على صدره، فسكن قلبُه.

وكان فضالة يقول: والله ما رفع يَدَه عن صَدْري حتى ما خلق الله شيئا أحبَّ إليَّ منه.

قال فضالة: فرجعتُ إلى أهلي، فمررت بامرأة كنتُ أتحدثُ إليها.

فقالت: هَلُمَّ إلى الحديث.

فقلت: لا، وانبعث فُضَالةُ يقول:

قالت هَلُمَّ إلى الحديث فقلتُ لا ... يأبى عليك اللهُ والإسلام

لو قَدْ رأيت محمداً وقبيلَه ... بالفتح يوم تُكسَّرُ الأصنام

لرأيت دينَ اللهِ أضحى بيِّنًا ... والشرك يَغْشَى وجْهَه الإظلام

إسلام صفوان بن أُميّة:

وفَرَّ يومئذٍ صفوان بن أُميَّة وعكرمةُ بن أبى جهل.

فأمَّا صفوان فاستأمن له عميرُ بن وهب الجُمحَى رسولَ الله ﷺ فأمَّنه وأعطاه عِمَامتَه التي دخل بها مكة، فلحقه عميرُ وهو يريد أن يركب البحر فَرَدَّه فقال: اجعلني فيه بالخيار شهرين، فقال: أنت بالخيار فيه أربعة أشهر.

وكانت أُمُّ حكيم بنت الحارث تحت عكرمة بن أبى جهل، فأسلمت واستأمنت له رسول الله ﷺ، فأمَّنه فلحقت به باليمن فأمَّنته فَرَدَّته، وأقَّرهما رسول الله ﷺ هو وصفوان على نكاحهما الأول.

السرايا والبعوث بعد الفتح:

لما اطمأن رسول الله ﷺ بعد الفتح، بعث خالد بن الوليد إلى «العزَّى» لخَمْس ليال بقين من شهر رمضان ليهدمها، فخرج إليها في ثلاثين فارسًا من أصحابه، حتى انتهوا إليها فهدمها.

ثُمَّ بعث عمرو بن العاص إلى «سُواع» وهو صنم لهُذيل ليهدمه.

قال عمرو: فانتهيتُ إليه وعنده السَّادن[١] فقال: ما تُريد؟

قلتُ: أمرني رسولُ الله ﷺ أن أهدمه

فقال: لا تقدر على ذلك.

قلت: لمَ؟

قال: تُمنع.

قلت: حتى الآن أنت على الباطل! ويحك هل يسمع أو يُبصر؟

قال: فدنوت منه فكسَّرته، وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته، فلم نجد فيه شيئًا، ثُمَّ قُلتُ للسَّادن: كيف رأيتَ؟ قال: أسلمتُ لله.

ثُمَّ بعث سعد بن زيد الأشهل إلى «مناة» وكانت بالمشَلَّل عند قُديد للأوس والخزرج وغسَّان وغيرهم، فخرج في عشرين فارسًا حتى انتهي إليها وعندها سادن، فقال السَّادن: ما تريدُ؟ قلتُ: هَدْمَ مَنَاة: قال أنت وذاك.

فأقبل سعد يمشى إليها، وتخرجُ إليه امرأةٌ عريانة سوداء ثائرة الرأس، تدعو بالويل، وتضرب صدرَها، فضربها سعد فقتلها، وأقبل إلى الصنم ومعه أصحابه فكسروه، ولم يجدوا في خزانته شيئًا.

*****

(١) السَّادن: خادم الكعبة وبيتِ الأصنام.